مبادئ التربية وأساليبها وجوانبها
في سورة محمد ﷺ

د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن المحيميد
قسم التربية ـ كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مبادئ التربية وأساليبها وجوانبها في سورة محمد ﷺ

د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن المحيميد
قسم التربية
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

القرآن الكريم كتاب هداية ومنهج حياة ، وهو شفاء وموعظة للناس ، وفيه تبيان كل ما يواجه الإنسان من معضلات أو مشكلات ، وهو مصدر للتربية الصحيحة ، يحدد أهدافها ، ويرسم معالمها ويوجه ممارساتها وأنشطتها ، ويسدد مسيرتها ، وموضوع هذه الدراسة حول سورة من سوره ، تلك هي سورة محمد ، تتأمل فيها وتتدبر معانيها وتبحث في مراميها ، ثم تتناول ما كتب حول تفسيرها بشيء من التحليل بهدف استخراج ما تتضمنه السورة مما يتعلق بالتربية والتعليم من مبادئ أو أساليب أو جوانب تربوية ، ومن خلال البحث و التحليل المتأني توصل الباحث إلى تحديد عدد من المبادئ والأساليب والجوانب أو الميادين التربوية التي تضمنتها السورة ، فمن المبادئ التربوية مبدأ وجوب التعلم والطاعة ، والربط بين العلم والعمل ، ومن الأساليب التربوية الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والتوجيه إلى التعلق بالدار الآخرة ، والتنويع في التحفيز ، وضرب الأمثال ، والثناء على الفعل الحسن وفاعله ، وذم الفعل السيء وفاعله ، ومن الجوانب التربوية التربية الإيمانية ، والتربية الجهادية ، والتربية القلبية (الوجدانية) ، والتربية العقلية .

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، المبعوث رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن القرآن العظيم هو النور الذي يضئ الدروب ، وهو الهدى والرحمة والذكر والبيان ، والموعظة والشفاء ، والطمأنينة والرشاد ، والله سبحانه وتعالى جعله منبعا للهداية ومصدرا للاستقامة والصلاح ، صلاح القلوب الذي يفيض على الأبدان والأحوال فتصلح بصلاحها وتستقيم ، يقول سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء ٩] ، ويقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس ٥٧] ، ويقول : ﴿ .. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل ٨٩]، ويقول : ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية ٢٠] .

وهذه الآيات ـ وغيرها كثير ـ توضح أن كتاب الله هو الهدى والنور والحق والموعظة والشفاء ، وهو مصدر التربية السليمة للنفوس والمجتمعات ، وقد تضمنت مواضع عديدة في القرآن حقائق وأساليب ومضامين تربوية في غاية الأهمية يحتاجها المشتغلون بالتربية والإصلاح والدعوة والطب النفسي والبدني ، ويحتاجها الباحثون عن الشفاء والباحثون عن الراحة والاطمئنان ويحتاجها المتربون والأشخاص العاديون ، وغيرهم ممن يروم تربية نفسه أو غيره ، وهذه المواضع من الكثرة بحيث لا يكفي لدراستها جهود فردية متفرقة ، وإنما ينبغي أن يتضافر على معالجتها وإعدادها مجموعة من الباحثين الجادين ، وحينما يتأمل القارئ كتاب الله ويتدبر ما يقرأ يجد فيه مما يتعلق بالتربية وشؤونها وشجونها الشيء الكثير ، فيحتار فيما يختار ، هل يختار هذه الآيات أو تلك ، أو هذه السورة أو تلك ، فالتربية مبثوثة في ثنايا الآيات والسور ، وفي كل موضعمن القرآن ، وسورة محمد فيها من التربية ومفاهيمها ومضامينها ودلالاتها الشيء الكثير ، وقد وقع الاختيار على هذه السورة ، فموضوعها الرئيس وموضوعاتها الأخرى كلها فيها ما يمس شغاف القلوب ويحرك أشجان النفوس ويخاطب الأذهان والعقول بشتى المؤثرات التربوية المتنوعة .

وانطلاقا من ذلك كله فإن موضوع هذا البحث هو حول التربية في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ؛ مبادئها وأساليبها وجوانبها .

مشكلة الدراسة :

بناء على ما سبق فإنه يثور سؤال حول المضمون التربوي في سورة محمد ، وذلك لبيان مكمن التأثير التربوي فيها ، وتحديد أهم المؤثرات التربوية الكامنة فيها ، ومما يوضح ذلك معرفة المبادئ والأساليب والجوانب التربوية فيها ، وبناء على ذلك فإن مشكلة الدراسة تتمثل في الكشف عن هذه المبادئ والأساليب والجوانب التربوية ، وإبرازها من خلال ما في السورة من حقائق ودلالات ومفاهيم .

أسئلة الدراسة :

تتمثل أسئلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي :

ما هي المبادئ والأساليب والجوانب التربوية في سورة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ .

ويمكن تفريع هذا السؤال إلى الأسئلة الفرعية التالية :

١ – ما مبادئ التربية في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ؟ .

٢ – ما أساليب التربية في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ؟ .

٣ – ما جوانب التربية في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ؟ .

أهداف الدراسة :

تتمثل أهداف الدراسة في الكشف عن المبادئ والأساليب والجوانب التربوية في سورة محمد ، والمساهمة في تبيان المضمون التربوي في القرآن الكريم ، وذلك من خلال إبراز المبادئ والأساليب والجوانب التربوية في سورة عظيمة من سوره ، تلك هي سورة محمد (صلى الله عليه وسلم .

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية الدراسة من أهمية موضوعها ذاته ، فهي تهدف إلى الكشف عن المبادئ والأساليب والجوانب التربوية في سورة عظيمة من سور القرآن ، وكل القرآن عظيم ، وهذه السورة احتوت على كثير من المفاهيم والحقائق التربوية ذات الأهمية البالغة ، ولذلك فإن دراسة هذه السورة العظيمة من ناحية تربوية له أهمية بحثية وعلمية كبيرة .

ويضاف إلى ذلك الأهمية التطبيقية للدراسة متمثلة في الثمرة العملية لنتائجها ،

فالمبادئ هي أفكار نظرية ينبثق عنها تطبيقات تربوية عديدة على مستوى الفرد وعلى مستوى الأنظمة التعليمية ، والأساليب هي طرق عملية للتربية والتعليم ؛ فقيمتها في تفعيلها ، والجوانب هي ميادين العمل التربوي على أرض الواقع .

حدود الدراسة :

حدود الدراسة الموضوعية تتمثل في الاقتصار على ما تتضمنه السورة موضوع البحث (سورة محمد) من مبادئ وأساليب وجوانب تربوية ولا تتعرض لما عدا ذلك من مضامين تربوية أخرى في السورة ؛ ولا تتعرض لهذه المبادئ والأساليب والجوانب التربوية في سور أخرى غيرها .

مصطلحات الدراسة :

الأساليب التربوية :

الأسلوب هو الطريقة ، وترد اللفظتان مترادفتان في الأدبيات التربوية ؛ وفي كتب المناهج وطرق التدريس كثيرا ما يبدأ بتعريف الطريقة بأنها الأسلوب ؛ ومن ذلك مثلا أبو صالح إذ يعرف الطريقة بأنها : " النمط أو الأسلوب الذي يمكن أن يكرر في الظروف المتشابهة عند التعامل مع المواقف التعليمية ، والموجه بقصد نحو تحقيق هدف أو أهداف تعليمية "[1] ، وأحمد إذ يقول : " فالمقصود بطريقة التدريس الأسلوب الذي يستخدمه المعلم في معالجة النشاط التعليمي ليحقق وصول المعارف إلى تلاميذه بأيسر السبل وأقل الوقت والنفقات " [2] ، والشافعي وزملاؤه في اختيارهم تعريف الطريقة بأنها : " الأسلوب الذي يقدم به المدرس المعلومات والحقائق للتلاميذ أو هي الأسلوب الذي ينظم به المعلم المواقف والخبرات التي يريد أن يضع تلاميذه فيها حتى تتحقق لديهم الأهداف المطلوبة " [3] ، وفي مؤلفات التربية الإسلامية يستخدم مصطلح الأسلوب للدلالة على الطرق التربوية الإسلامية ، كأسلوب الحوار وأسلوب القصة ،

---

(١) محب الدين أحمد أبو صالح . أساسيات في طرق التدريس العامة ، الرياض : دار الهدى للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣٢ .

(٢) محمد عبد القادر أحمد . طرق التدريس العامة ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٤١٢هـ ، ص ١٨ .

(٣) إبراهيم محمد الشافعي . وراشد حمد الكثيري ، وسر الختم عثمان علي . المنهج المدرسي من منظور جديد ، الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ ، ص ٣٢٢ .

وغيرها [1].

والأساليب التربوية يقصد بها في هذه الدراسة طرق التربية والتعليم ، سواء كان القصد منها تنفيذ العملية التعليمية بفعالية أو تعديل السلوك نحو الأفضل بدرجة مرضية .

المبادئ التربوية :

تطلق المبادئ في مجال العقيدة مقصودا بها أركان العقيدة وثوابتها ، وتطلق في علم الأخلاق مقصودا بها الأخلاق أو الفضائل ، وتطلق في مداخل العلوم مقصودا بها أولياتها أو بداياتها ، وفي العرف الشائع يقال : فلان ذو مبدأ ، أو صاحب مبدأ ، أي أنه يتصف بالوفاء بما يلتزم به أو يعد به ، فلا ينكث بوعده ، ولا يخون عهده ، ولا يخفر ذمته ، فهو ذو مبدأ ! ، وبشكل عام فإن المبدأ يعبر به كما يقول النحلاوي : " عن فكرة عامة شاملة تنبثق عنها أفكار فرعية ، أو تنظم على ضوئها عمليات فيزيائية أو كيميائية أو تربوية أو علاقات اجتماعية .. " [2] ، وبناء على هذا المفهوم فإن المبدأ التربوي – في هذه الدراسة – هو فكرة تربوية نظرية لها تطبيقات ميدانية متعددة .

جوانب التربية :

الجوانب جمع جانب ، وهو جهة الشيء ، أو بعضه ، أو قسم منه ، وجوانب التربية هي ميادينها ومجالاتها وحقولها ، ويرد كثيرا استعمال هذه اللفظة لهذا المعنى في سياق المؤلفات والكتابات التربوية ، ومن أبرز استعمالاتها بصفتها مصطلحا تربويا ذا دلالة خاصة ما فعله يالجن حينما عنون لكتابه الذي نال به جائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية مناصفة ، إذ جعل عنوان الكتاب (جوانب التربية الإسلامية) ، وهو وإن لم يصرح بمقصوده من الجوانب كتابة ، إلا أنه سار عليه فعلا في هذا الكتاب ، إذ أن موضوعه حول مجالات التربية وميادينها ، كالتربية الصحية والتربية الإيمانية والتربية العقلية .. وغيرها ، وقد خصص فصلا لكل جانب (مجال) من هذه الجوانب [3] ، وانطلاقا

---

(١) انظر مثلا : عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ ، ص ١٨٤ . وانظر أيضا : عبد الجواد سيد بكر ، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢٩٩ .

(٢) عبد الرحمن النحلاوي ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ ، ص ٥٥ .

(٣) مقداد يالجن ، جوانب التربية الإسلامية الأساسية ، الرياض : المؤلف ، ١٤٠٦هـ .

من هذا المفهوم فإن المقصود بجوانب التربية في هذه الدراسة ميادينها أو مجالاتها المتعلقة بالإنسان ؛ كالجانب البدني ، أو العقلي ، أو الوجداني ... لخ .

المضمون التربوي : هو ما تتضمنه سورة محمد وتحتويه من مفاهيم ومبادئ وحقائق وتوجيهات تربوية نظرية وتطبيقية .

سورة محمد : هي السورة المعروفة بهذا الاسم ، والمعروفة كذلك باسم سورة القتال .

منهج الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على منهجين للبحث ؛ الأول : المنهج الوصفي التحليلي ؛ وذلك من خلال وصف وتحليل النصوص المتعلقة بموضوع الدراسة ، مثل أقوال المفسرين حول الآيات ومعانيها ومقاصدها وذلك لمحاولة استخلاص المضامين التربوية التي تحتوي عليها السورة موضوع الدراسة ، والثاني : هو المنهج الاستنباطي ، وذلك لاستخراج واستنباط المعاني من النصوص [1]؛ سواء كانت النصوص آيات السورة نفسها أو الأقوال المفسرة لها من الأحاديث والآثار وأقوال أهل التفسير ، والمعاني المستخرجة منها هي المتعلقة بالمبادئ والأساليب والجوانب التربوية .

الدراسات السابقة :

التربية في القرآن الكريم كانت ولا زالت محل اهتمام كثير من الباحثين والعلماء ؛ كما أن بعض المفسرين اعتنوا بالجانب التربوي في تفاسيرهم للقرآن ؛ ومنهم مثلا الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " ففي مواضع عديدة يقف فيها وقفات تربوية يتطرق من خلالها إلى بعض الحقائق التربوية والعلمية والتعليمية ، ومنها مثلا استنباطه لكثير من الحقائق التربوية أثناء تعرضه لقصة موسى مع الخضر في سورة الكهف ، ومواضع أخرى . ومنهم كذلك كثير من المفسرين المتقدمين والمعاصرين الذين اعتنوا بالجانب التربوي في تفاسيرهم .

وبالإضافة إلى كتب التفسير هناك من الباحثين والعلماء من خصوا الجانب التربوي

---

(١) محمد الدسوقي ، منهج البحث في العلوم الإسلامية ، طرابلس : دار الأوزاعي ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٠٠، ١٠١.

في القرآن الكريم بدراسات خاصة ؛ ومن ذلك علي عبد الحليم محمود في كتابه " التربية في القرآن الكريم " (١٤١٧ هـ) ؛ وقد خصص بعض السور بدراسات تربوية خاصة بكل سورة منها ؛ مثل التربية في سورة المائدة ، وسورة النور ، وسورة آل عمران ، والأحزاب والأنفال والتوبة والنساء ، وقد حدد هدفه من هذا التفسير التربوي – كما سماه – بقوله : " استلهام ما تهدي إليه آيات القرآن الكريم من قيم تربوية توجهنا إلى حياة إنسانية كريمة تحفظ فيها الحقوق وتؤدى الواجبات وتقوم على الشورى والعدل ، وتستهدف صالح الإنسان في دنياه وآخرته " ، وقد سلك في بحثه خطوات منهجية تمثلت في عرض موجز للموضوعات التربوية في كل سورة ، وإلقاء الضوء على معاني الآيات وما تتضمنه من تأثير في روح الإنسان وعقله وبدنه ، واستنباط المواقف التربوية التي تستفاد من الآية أو السورة ، ومحاولة التركيز على الجانب التربوي التطبيقي لهذه السورة في واقع الحياة وواقع الدعوة الإسلامية .

ومن ذلك دراسة عمر أحمد عمر بعنوان : " منهج التربية في القرآن والسنة " (١٤١٦ هـ) ، وقد بحث مجالات التربية ومقومات التربية (العقيدة ، والعبادة ، والأخلاق) ومبادئ التربية ، وطرقها وأساليبها ، ومراحلها ومؤسساتها ، وكذلك خصائص المنهج التربوي وذلك من خلال تتبع نصوص القرآن والسنة المتعلقة بهذه الأمور .

وكذلك دراسة فيصل بن علي يحي أحمد بعنوان : " منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه على ضوء سورة الحجرات " (١٤٠٧ هـ) ؛ وهي رسالة ماجستير استخدم فيها الباحث المنهج التحليلي في محاولة استخلاصه لمنهج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه في تربية أصحابه من خلال ما تضمنته سورة الحجرات من مضامين تربوية وقيم أخلاقية وسلوك قويم ربّاهم عليه صلى الله عليه وسلم بطريقة عملية إجرائية ؛ حيث أصبح المضمون التربوي والخلقي في هذه السورة واقعا عمليا معاشا ، وقد تضمنت الدراسة بعض النماذج التطبيقية للتربية النبوية للصحابة على هذا المضمون التربوي .

ويضاف إلى ذلك دراسة بعنوان "مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا – دراسة تحليلية " (١٤١٩ هـ) ؛ وهي رسالة ماجستير قدمت لجامعة أم القرى من قبل مأمون صالح النعمان ؛ وقد قصر الباحث دراسته على المبادئ التربوية في آيات النداء للذين آمنوا التي

تتعلق بالمحافظة على الدين ؛ وذلك – كما يقول – : " لشمولية هذا المقصد على المستويات الثلاث الضروريات والحاجيات والتحسينيات من حيث الوجود ومن حيث ما يدرأ عنها ما يفسدها .. " ، وهي إضافة جيدة إلى جهود تأصيل الفكر التربوي الإسلامي وهي من الدراسات التربوية الموضوعية في القرآن .

وكذلك دراسة عبد الرحمن النحلاوي " التربية بالآيات " (١٤٠٩ هـ) ؛ وهي دراسة مركزة حول التربية بالآيات ، وهي آيات الله في الآفاق وفي الأنفس ؛ مثل الآيات الكونية وآيات الخلق ، وآيات أو دلالات قدرة الله ، والآية – في هذه الدراسة – يقصد بها الدلالة والبرهان على قدرة الله ووحدانيته ؛ وهي دراسة حول أسلوب من أساليب القرآن في التربية ؛ إذ إنها تتعرض للتربية بالآيات في الأنفس والآفاق من خلال عرض القرآن لهذه الآيات وتنبيهه إلى ما فيها من دلائل وبراهين على وحدانية الله وقدرته جل وعلا .

وهناك دراسة متخصصة بعنوان " أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم " (١٤١٤هـ) ، وهي رسالة جامعية أعدها الحسين جرنو محمود جلو ونال بها درجة الماجستير في التربية ؛ وهي دراسة عميقة تطرق فيها الباحث إلى أهداف القرآن وأساليبه في ضبط السلوك ، وإلى مدى توافر أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم ، ومسوغات توافر الثواب والعقاب في القرآن ، مع أنواع أساليب ضبط السلوك فيه ، وتصنيف هذه الأساليب وأسسها ، وغير ذلك ، ولهذه الدراسة بعد إحصائي أضفى عليها طابع الدقة في نتائجها والجدة في مضمونها مع ما تعرض له الباحث من عمق نظري تأصيلي ، وتضمن الجانب الإحصائي إيضاح نسب كل من الترغيب والترهيب ومعدل توزيع كل منهما في القرآن عموما ، ونسبة وجود كل منهما في القرآن المدني والمكي ، ونسبتهما في كل سورة ، ونسبة توزيع أنواع الترغيب والترهيب في القرآن ، وما إلى ذلك من تفصيلات إحصائية مفيدة .

مناقشة الدراسات السابقة :

من خلال هذا الاستعراض يتبين أن الدراسات التي تناولت موضوع التربية في القرآن إنما تتناول مجالا واسعا له جوانب متعددة ، وأن هذه الدراسات عموما في خط تدرجها إنما تميل نحو التحول من المحور العام إلى محاور فرعية أكثر خصوصية ؛ وذلك أن بعض هذه الجهود أصلا كانت ضمن موضوعات أخرى ؛ كما هو الأمر بالنسبة لما تضمنته

كتب التفسير من شؤون التربية ، ثم بعد ذلك ظهر بحوث موجهة نحو التربية في القرآن ؛ سواء فيما يتعلق بموضوع التربية بعمومه في سورة من السور أو ما يتعلق ببحوث أو وقفات تربوية علمية مع آية أو سورة محددة ، وذلك مثل دراسة علي عبد الحليم محمود ، وتزامن ذلك مع ظهور دراسات موضوعية تربوية خاصة تتخذ من اختيار الموضوع التربوي خطوة أولى ثم تكون الخطوة الثانية هي دراسة هذا الموضوع المختار من خلال القرآن الكريم أو من خلال سورة من السور ؛ وذلك مثل موضوعات منهج التربية في القرآن والسنة ؛ كدراسة عمر أحمد عمر ، ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه على ضوء سورة الحجرات لفيصل علي يحي ، والمبادئ التربوية في آيات النداء للذين آمنوا لمأمون صالح النعمان ، أو تخصيص أسلوب من أساليب التربية في القرآن ببحث خاص ؛ كالتربية بالآيات الكونية في الأنفس والآفاق التي كثيرا ما يتم توظيفها في تربية القرآن ومخاطبته للنفوس؛ كدراسة عبد الرحمن النحلاوي ، أو البحث الشامل عن الأساليب التربوية في القرآن ؛ كأساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم ؛ كما في دراسة الحسين جرنو محمود جلو.

وهذه الدراسات كلها لا شك أنها تمثل أساسا لأي دراسة تربوية حول أي جزء أو سورة من سور القرآن ؛ والدراسة المقترحة تهدف إلى دراسة مبادئ التربية وأساليبها وجوانبها من خلال سورة لم تتطرق لها هذه الدراسات ؛ وهي سورة محمد صلى الله عليه وسلم.

* * *

التربية في سورة محمد صلى الله عليه وسلم :

السورة وموضوعها :

السورة هي سورة محمد ، وتسمى سورة القتال ، وهي سورة مدنية كما قال بذلك الأكثرون من العلماء ، إلا آية منها ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ .. ﴾ [محمد : ١٣] ، فقد نزلت عليه وهو بمكة حين خرج منها بعد حجه وجعل يلتفت وينظر إلى البيت ، وقيل إن السورة مكية [١].

ويتبين من موضوع السورة أنها مدنية ، وموضوع السورة هو القتال ، وقد سميت بسورة القتال ، فهو موضوعها الرئيس ، وبالإضافة إلى ذلك تضمنت موضوعات أخرى ، مثل جزاء الكفار وجزاء المؤمنين ، وحكم الأسرى ، وفضل الشهداء وأجرهم عند الله، ووصف نعيم الجنة وعذاب النار ، والنفاق وصفات المنافقين وأحوالهم عند تلقيهم الأمر بالقتال ، والفرق بين القلوب المريضة بالنفاق والقلوب المؤمنة المتدبرة لكتاب الله ، مع بيان حال الدنيا والتزهيد فيها بالنسبة للحياة الآخرة ، والسورة ثمان وثلاثون آية في أربعة أوجه ، أي ورقتين ، ومع ذلك فقد حوت كثيرا من المضامين التربوية وفيما يلي نورد من هذه المضامين ما يتعلق بالإجابة عن أسئلة الدراسة تحت عناوينها المناسبة بإذن الله .

أولا : مبادئ التربية :

اشتملت السورة على عدد من المبادئ التربوية الهامة ، والمقصود بالمبدأ التربوي هو فكرة أو اتجاه نفسي ثابت يترجم إلى تطبيقات سلوكية عديدة ، ومن هذه المبادئ في السورة ما يلي :

١ – مبدأ وجوب الطاعة :

الطاعة لله ولرسوله مبدأ تربوي حينما تشتمل عليه نفس الإنسان يتحول هذه المبدأ إلى سلوك فعلي ، حيث تترجم الطاعة إلى سلوك باطن يشمل عمل القلب من الخضوع والذل والإخبات والإنابة والمحبة والإخلاص والافتقار القلبي واللجوء إلى الله ، وتترجم

---

(١) محمد الأمين المختار الجكني الشنقيطي ، أضواء البيان ، الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٣هـ ، ٧/ ٣٩٥ .

كذلك إلى سلوك حركي تتحرك به الجوارح – مع القلب – في أعمال الطاعات والقربات من الفرائض والنوافل بأنواعها ، والطاعة مبدأ تربوي واحد ؛ ولكن تطبيقاته الفعلية تغطي حياة الإنسان كلها ؛ فهي تطبيقات غير متناهية من ناحية العدد ؛ حيث يمكن للمسلم أن يقلب حياته كلها إلى طاعة ، وذلك بالابتعاد عن دائرة المحظور (محرما أو مكروها) وممارسة حياته في إطار الواجب والمستحب والمباح ، وهذا يسير على من ييسره الله له ممَن تنطوي أفئدتهم على مبدأ الطاعة لله ولرسوله ؛ فيصبح اتجاها نفسيا ثابتا يميل بهم نحو فعل المأمورات والبعد عن النواهي بشكل عام ، وفي سورة محمد صلى الله عليه وسلم ما يرسخ هذا المبدأ في أكثر من آية ؛ ومنها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣] ، والطاعة كما يقول السعدي رحمه الله : " هي امتثال الأمر واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتمام المتابعة " [1] .

ومبدأ الطاعة لله ولرسوله يستوعب كل ما في النفس من خضوع وانقياد واستسلام فيوجهه إلى من يجب الخضوع له والانقياد لأمره والاستسلام لشرعه ؛ وهو الله الواحد الأحد الذي بالخضوع له يستعلي الإنسان على غيره من الآلهة والشهوات والأهواء وشياطين الجن والإنس ، وبالانقياد لأمره يتميز الفرد ويستقل عن التبعية والضعف والازدواجية في القول والفعل ، وبالاستسلام لشرعه يرتفع عن الخضوع لغيره من البشر الذين يشرعون لغيرهم ، وهم مثلهم بشر ليس لهم من حق التشريع شيء ؛ إلا أن يزعموا أن لهم من حق الربوبية والألوهية شيء ! وأنَى لهم ذلك ؟ ! هيهات هيهات .

٢– مبدأ وجوب التعلم :

إلزامية التعليم من المبادئ التربوية المشهورة ؛ ويطبق بشكل عملي في كثير من الأنظمة التربوية في الوقت الحاضر ؛ وفي تربية الإسلام يلزم الفرد بتعلم حد أدنى من العلم الشرعي يتأتى له به القيام بالواجبات الشرعية ، مع معرفة مبادئ العقيدة وأركانها ، ومعرفة الحلال والحرام ، وما إلى ذلك ؛ وهو ما يطلق عليه في الاصطلاح الشرعي حد فرض العين من العلم ؛ وفي هذه السورة يقول الله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ ، ٧٨٩ .

إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ ، [محمد : ١٩] والآية تبدأ بأمر ، والأمر هنا يقتضي الوجوب و" لا إله إلا الله " تعني التوحيد ؛ توحيد الألوهية ، أو توحيد الله بالعبادة ؛ والعبادة هي ما خلق الله الخلق لأجله ، حيث يقول جل وعلا : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، فتعلم " لا إله إلا الله " والعلم بها وبما تقتضيه من سلوك اعتقادي وعملي واجب بحسب هذا الأمر الوارد في الآية ؛ ويقول في ذلك السعدي : " .. وهذا العلم الذي أمر الله به – وهو العلم بتوحيد الله – فرض عين على كل إنسان ، لا يسقط عن أحد ، كائنا من كان ؛ بل كل مضطر إلى ذلك ، والضرورة إلى هذا العلم والعمل بمقتضاه من تمام التأله فوق كل ضرورة "[1] .

٣– مبدأ الربط بين العلم والعمل :

طلب العلم – في الإسلام – عبادة ؛ كما دلت على ذلك الأدلة الكثيرة ؛ ولكن تحصيل العلم يقتضي العمل به ؛ فهو من هذه الناحية مسؤولية ؛ وإذا تخلف العمل عن العلم وقع الإنسان في المحظور وتعرض للوعيد الوارد بشأن من يعلم ولا يعمل بعلمه ؛ ومن ذلك ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس ؛ عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم " ، رواه الترمذي في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه وحسنه الألباني ، وروى الترمذي حديثا آخر بمعناه عن أبي برزة الأسلمي وصححه الألباني[2] .

وفي هذه السورة نجد التوجيه إلى ارتباط العلم بالعمل ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد : ١٩] ؛ فالعلم بلا إله إلا الله ومقتضياتها والاستغفار (وهو عمل) ورد التوجيه إليهما معا في الآية ، وهو خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وخطاب لأمته من بعده .

وكذلك ورد في السورة – في موضعين منها – ارتباط الإيمان بالعمل الصالح : (والذين

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ١٤٢٠هـ ، ٨ / ١٨٩ ، و المرجع السابق ، ٧٨٧ .

(٢) محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٨هـ ٢ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

آمنوا وعملوا الصالحات) ، فالإيمان علم وعمل ، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ومع ذلك ذكر في الآية مقرونا بالعمل الصالح ، فالإيمان يقتضي العمل الصالح ، والعلم كذلك يقتضي العمل ، وإذا لم يقترنا معا في واقع الإنسان فإنه باستكثاره من العلم إنما يستكثر من الأعباء التي سيسأل عنها يوم القيامة ، فيكون علمه حجة عليه لا حجة له ، وكثيرا ما نغفل عن هذا المبدأ ونحن في خضم العملية التعليمية التي من خلالها نحاول توصيل أكبر قدر ممكن من المعارف والمعلومات إلى المتعلمين ، فيكون الجهد متجها نحو تحقيق أكبر قدر من الاستيعاب للمفردات المعرفية وفي غياب واضح لأي جهد يبذل نحو التطبيق العملي لهذه المعرفة في واقع الحياة ، فنكون بذلك نعلِم ولا نربِي ، وهذه فجوة ينبغي أن نتدارك حدوثها وأن نحاصر آثارها في سلوك المتعلمين وفي سلوك المعلمين أيضا .

ثانيا : الأساليب التربوية والتعليمية :

تضمنت السورة بعض الأساليب التربوية وبعض الأساليب التعليمية ، وفيما يأتي عرض لأهم هذه الأساليب التي تضمنتها السورة :

١ – أسلوب الأمر والنهي :

الأمر المباشر الذي يصدر من المربي لمن يتربى على يديه أسلوب تربوي ناجع ، لأنه بالأمر يكون التمرين على الفعل المرغوب ، ويكون التعويد عليه حتى يرسخ في سلوك المتعلم ، ويصبح جزءا من حياته ، والله سبحانه وتعالى قد ربَى رسوله بالأوامر والنواهي ، وربَى أمته في حياته وبعد مماته كذلك بالأوامر والنواهي ، ونجد في هذه السورة شيئا من ذلك ، حيث يخاطب الله رسوله آمرا له بأن يعلم بأنه لا إله إلا الله وأن يستغفر لذنبه ، وهو خطاب وأمر لأمته من بعده كذلك .

وفي السورة كذلك أوامر أخرى ، مثل الأمر بضرب الرقاب عند ملاقاة الكافرين في الحرب ، والأمر لهم بشد الوثاق بالأسر لهم بعد الإثخان ، والأمر بطاعة الله وطاعة رسوله وفيها كذلك نواهي ، حيث نهى سبحانه عن إبطال الأعمال بقوله : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣] ، ونهى عن الهوان بقوله : ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ .. ﴾ [محمد : ٣٥] ، وهذه الأمثلة الموجودة في السورة هي قليل من كثير من الأوامر والنواهي الموجودة في القرآن ، فالله سبحانه وتعالى يربي عباده بالأمر والنهي ،

فهو أسلوب تربوي وتعليمي فعّال ينبغي أن يحرص عليه المربون عمليا في كل ما يريدون أن ينشئوا أبناءهم والمتربين على أيديهم عليه ، ولدينا على ذلك مثال عملي هو الصلاة ، حيث يتمرن عليها الصغار ويتعودون على أدائها عن طريق الأمر بها منذ بلوغهم السابعة ، علما أنها بالنسبة لهم في صغرهم عادة يعوَدون عليها ، ولا تصبح عبادة إلا عندما يعقلون معناها ويفهمون مغزاها .

٢ – أسلوب الوعد والوعيد :

الوعد والوعيد أسلوبان تربويان يتم من خلالهما توظيف " الترجية " بالثواب و" التخويف " بالعقاب في تصحيح السلوك وتعديله ، وهما أسلوبان مؤثران ، لأنهما يقومان على أساس من الإيمان واليقين في نفس المتلقي بأن الوعد والوعيد صادران ممن يقدر على إيقاعهما ، فهو الغفور الرحيم ، وهو شديد العقاب ، وهو الفعّال لما يريد ، ولا راد لأمره ! .

الوعد تلويح بالثواب الأخروي على سلوك أو إنجاز أو عمل صالح في الحياة الدنيا ، والوعيد تهديد بعقاب أخروي على سلوك منحرف في الحياة الدنيا ، والسلوك يشمل السلوك الباطني المتعلق بالعقائد والنوايا والحب والبغض والولاء والعداء والإخلاص والرياء ، وغيرها ، بالإضافة إلى السلوك الظاهري العملي الذي تتحرك به الجوارح والأبدان قولا أو فعلا ، فالوعد يوظف لغرض المضي قدما في الاستزادة من العمل الصالح ، والوعيد يوظف لغرض الكف عن السلوك المنحرف أو لإحداث تغيير في السلوك من سلوك شائن مذموم إلى سلوك سوي مقبول ، أي من معصية إلى طاعة ، وفي سورة محمد وعد بالنعيم الأخروي متمثلا بالجنة وما فيها من أنواع النعيم ، ووعيد بالنار وما فيها من صنوف العذاب .

٣ – أسلوب الثواب والعقاب :

خلق الله النفوس وجعل فيها الرغبة والرهبة تندفع إلى ما ترغب بفطرتها وتنفر عما ترهب بفطرتها كذلك ، وجعل سبحانه أنواعا من الثواب وأنواعا من العقاب ، وفي ذلك حكمة عظيمة ، فإن النفوس إذا أثيبت بما في خلقتها الرغبة فيه أو عوقبت بما في خلقتها الخوف والرهبة منه فإن الثواب والعقاب يفعل فعله في هذه النفوس ويكون له تأثير في حملها على الاستقامة وصدها عن الانحراف ، والإنسان مع هذه الفطرة لديه

عقل يوازن به بين المصالح والمفاسد والمنافع والمضار ؛ ولكن مع ذلك فإن لله حكمة في الهداية والإضلال يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء سبحانه ؛ وفي القرآن الكريم يكثر ذكر أسلوب الثواب والعقاب ؛ وفي هذه السورة طرف من ذلك ؛ فقد ذكر تعالى الثواب الأخروي متمثلا في الجنة ونعيمها ، وذكر العقاب الأخروي للكفار والمنافقين متمثلا في النار وعذابها . وذكر الثواب الدنيوي العاجل لعباده المؤمنين ؛ مثل إصلاح البال ، والنصر العاجل على الأعداء ، وتثبيت الأقدام ، وزيادة الهداية ، وإيتاء التقوى . وذكر تعالى العقاب الدنيوي العاجل الذي يعاقب به الكافرين ؛ فيدمر عليهم حياتهم ، وهدد سبحانه بمثل ذلك للكافرين ، وذكر كذلك من عقاب الكفار والمنافقين الطبع على القلوب ، وإحباط العمل ، وإظهار أحقادهم وفضحهم ، وتشديد الموت عليهم بضرب وجوههم وأدبارهم من قبل الملائكة .

والثواب والعقاب يمكن توظيفه في العملية التربوية مباشرة ؛ ولكن يراعى في ذلك مناسبة الثواب والعقاب لنوع السلوك ، وسن المتلقي للتربية ، وطبيعته ، والمداخل المناسبة للتأثير في سلوكه ، وما إلى ذلك .

٤ – أسلوب التوجيه إلى التعلق بالآخرة :

إن تعلق الإنسان بشيء من أمر الدنيا أو أمر الآخرة يؤثر في توجيه نشاطه كما ونوعا إلى ذلك الشيء الذي تعلق به قلبه ، وقد نبهنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله : " من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة " رواه ابن ماجه وصححه الألباني [1] . وفي القرآن كله نجد التوجيه إلى التعلق بالآخرة ؛ وفي هذه السورة نجد ذلك أيضا ؛ ومن ذلك التزهيد في الدنيا والإخبار عن حقيقتها وأنها لا تعدوا أن تكون لعبا ولهوا سريع الزوال ، وذلك مقدمة لتفريغ القلب من التعلق بها حتى يتجه إلى التعلق بما هو خير منها وأبقى ؛ وهو الآخرة التي يؤتي الله المؤمنين المتقين أجورهم فيها ، ويخلدهم في نعيمها :﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح سنن ابن ماجه ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٧ هـ ، ٢ / ٣٩٣ .

وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٦].

وهذا توجيه إلى التعلق بالآخرة والتطلع إلى الحياة الأبدية فيها يضاف إلى ما ذكر في الآيات السابقة من نعيم الآخرة المعد لمن يقدمون أخراهم على دنياهم ، مقارنة بالعذاب الشديد المعد هناك لمن يكون تعلقهم بالدنيا متبعين أهواءهم غافلين عن مصيرهم وما ينتظرهم بعد الموت ، ولا يتنافى هذا مع ما هيأ الله له الخلق من عمارة الأرض وما فطرهم عليه من حب الشهوات ، كالزوجية والتملك والأبوة ، وغيرها ، فيمكن الجمع بين هذا وهذا بحيث تكون عمارة الأرض وفق منهج الله ومباشرة الشهوات عن طريق الحلال رغبة فيه عن الحرام ، وبحيث لا تكون الدنيا ومتاعها هي الهم الأكبر ، وإنما تكون وسيلة إلى الآخرة التي هي ما يوجه القلب إلى التعلق به والتطلع إليه .

٥ – أسلوب التربية على الوجل وأخذ الحيطة والحذر والاستعداد للمستقبل :

تنضح السورة بتحذير الإنسان من مغبة التمادي في الغي ، و اتباع الهوى ، والغفلة عن الحق وعن الإيمان به والعمل بمقتضاه ، والركون – مع ذلك – إلى حياة الدعة والمتعة الدنيوية الزائلة ، وهو أمر مقصود لتربية النفوس على الوجل الباعث على الاستعداد للمستقبل بما يحمل من مفاجآت وعواقب ، يقول تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد : ١٨] ومن أشراطها وعلاماتها بعثة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم [١]، ويذكر الله عباده بالموت الذي هو أمر حتمي لا مناص منه ، وهو مع ذلك نهاية لمتاع الدنيا ، ولكن قد يكون موتا مصحوبا بالشدة والعذاب : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٧] ، والحياة الدنيا سريعة الزوال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ... ﴾ [محمد : ٣٦] ، والمربي القدوة صلى الله عليه وسلم يربي أمته على الاستعداد لما بعد الحياة الدنيا الزائلة بقوله : (مالي وللدنيا ! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها) [٢] ، ثم يأتي ختام السورة بحقيقة مفزعة تقرع حس الإنسان وتخاطب وعيه لمزيد من الحذر : ﴿ .. وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد : ٣٨].

---

(١) انظر : إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، الرياض : دار السلام ، ١٤٢١هـ ، ص ١٢٦٤

(٢) محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ٢ / ٢٨٠ .

٦ – أسلوب التنويع في التحفيز :

تتنوع النفوس في مداخلها ؛ فمن النفوس ما تحفزه الرغبة ، ومنها ما تدفعه الرهبة ، ومنها ما يريد العاجل ، ومنها ما يريد الآجل ، ومنها ما يريدهما معا ، ومنها ما يجذبه الوعد والثواب ، ومنها ما يقرعه الوعيد والعقاب ؛ والله سبحانه وتعالى هو خالق النفوس وهو العليم بمداخلها ومخارجها وما يؤثر فيها فيزكيها أو يغويها ، والقرآن كلامه والخطاب خطابه ؛ فهو جل وعلا يخاطب هذه النفوس بمداخل متنوعة تتفاوت في جذبها أو ردعها ؛ كتفاوت النفوس في مداخلها ومستوى استجابتها أو إقبالها و نفورها ؛ وهذا هو منهج القرآن في التربية ؛ وهو منهج تربوي يربي به الإنسان نفسه حينما يعرضها لهذه المؤثرات المتنوعة ، ويربي به غيره حينما يسير على منهج القرآن في التحفيز ؛ فينوع في الحوافز التي يوظفها في جهوده التربوية مع من تحت يده من أبنائه وبناته وأهل بيته أو طلابه وإخوانه وغيرهم ؛ وقد تنوعت الحوافز في السورة من أخروية ودنيوية ، وإيجابية وسلبية ، وعلمية وعملية ، ومعرفية ووجدانية ، ونظرة متدبرة في السورة ومقاطعها تكفي للدلالة على ذلك.

٧ – أسلوب ضرب الأمثال :

ضرب الأمثال من الأساليب التربوية القرآنية ؛ حيث ينوع الله جل وعلا في كتابه من ضرب الأمثال لما يحدثه ذلك من تقريب الحقائق إلى الأذهان ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٢٧] وفي هذه السورة أيضا يقول تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ [محمد : ٣] ويقول ابن الجوزي في تفسيرها : " أي كذلك يبين أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين كهذا البيان " [١] . ويقول الشنقيطي في تفسيره : " قال فيه الزمخشري : فإن قلت : أين ضرب الأمثال ؟ قلت : في جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار ، واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو في جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار ، وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين " ، ثم يقول : " وأصل

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ ، ٧ / ٣٩٦ .

ضرب الأمثال يراد منه بيان الشيء بذكر نظيره الذي هو مثل له "[1].

وبذلك يتبين أن ضرب الأمثال هو طريقة من طرق التعليم والتبيين ؛ إذ يتم من خلاله بيان الشيء للمتعلم وتوضيحه له من خلال ذكر نظير له يقرب معناه إلى ذهنه .

٨ – أسلوب التوجيه إلى الفهم والإدراك والاعتبار والتفكر :

يتجلى هذا الأسلوب واضحا في السورة ؛ حيث يوجه الله تبارك وتعالى الإنسان إلى استثمار ما وهبه الله من قدرات وطاقات في الوصول إلى الحق والتمسك به ، ومجانبة الباطل وأهله ، والاعتبار بمصائر الأمم المنحرفة في الماضي والجماعات المعادية للحق في كل وقت كالمنافقين ؛ وهذا الاعتبار إنما هو ثمرة النظر الحسي والتأمل العقلي في مآل الأمم السابقة المحادة لله والمحاربة لدينه ؛ وكيف حاق بها العذاب والتدمير عقابا عاجلا قبل العقاب الأخروي الدائم ؛ ثم بعد التوجيه بقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴾ [محمد : ١٠] يأتي التنبيه لخطورة الأمر ، وأن العقاب كما حاق بأولئك الأقوام يمكن أن يقع على الكافرين المعاندين للحق في أي وقت (وللكافرين أمثالها) .

وهذا النظر والتأمل يحدث في النفس يقظة ويوجد فيها عبرة فتقوى فيها الرهبة وتنمو فيها الخشية ؛ وذلك حينما يقلب المرء نظره ويجول بفكره حول آثار السابقين ؛ يتذكر سلطانهم ونشاطهم وبأسهم وجبروتهم وكيدهم ومؤامراتهم ومعاصيهم وآثامهم داخل هذه الآثار ؛ ثم يقارن هذا بما صاروا إليه ؛ حيث أصبحوا كما أخبر الله عنهم : ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٥] .أو ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٧] .

ثم بادوا بعد ذلك ؛ ولم يبق لهم أثر ؛ ولكن بقيت مساكنهم تحكي قصتهم ليعتبر بها من يأتي بعدهم .

والتوجيه إلى الاعتبار بالمآلات والآثار أسلوب من أساليب التربية في القرآن ؛ وفي هذه السورة طرف منه كما دلت عليه الآية السابقة ، وكما يدل عليه في السورة نفسها قوله

---

(١) محمد الأمين الشنقيطي ، مرجع سابق ، ٧ / ٤١٧ .

تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ [محمد : ١٣].

٩ – أسلوب الثناء على الفعل الحسن وفاعله :

الثناء والمدح للسلوك الإيجابي أو لمن يقوم به أسلوب تربوي إسلامي ؛ وفي التربية النبوية شواهد مشهورة على ذلك ؛ وفي سورة محمد ثناء على المؤمنين لأفعالهم الصالحة وثناء على الأفعال نفسها ، وهذا الثناء من الله سبحانه يفعل فعله في النفوس ؛ حيث تنجذب النفوس إلى هذه الأفعال وتميل بالحب والتقدير للقائمين بها ؛ ومن ذلك ثناؤه جل وعلا على المؤمنين لأعمالهم الصالحة ولإيمانهم بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولاتباعهم الحق ، كما أثنى على من هو على بينة من ربه في مقابل من زين له سوء عمله ، وهذه أمثلة من الثناء على الفعل والفاعل بصفته أسلوبا تربويا قرآنيا ينبغي للمربين أن يتأسوا به في تربيتهم لمن تحت أيديهم من أفراد أو جماعات .

١٠ – أسلوب الذم للفعل السيء وفاعله :

ذم الفعل السيء وفاعله من أساليب التنفير عن الوقوع في الفعل المذموم والاتصاف بصفات الفاعلين له ، والسورة تفيض بذم أفعال الكافرين والمنافقين ومواقفهم وتصرفاتهم ؛ حيث ذمهم تعالى لاتباعهم الباطل ، ولكرههم ما أنزل الله ، ولأكلهم وتمتعهم كما تأكل الأنعام ، ولاتباع أهوائهم ، ولاستهانتهم وتغافلهم وبلادتهم عند سماعهم للنبي عليه الصلاة والسلام ، وذمهم تعالى في نظرهم إلى النبي في خوف وفزع (نظر المغشي عليه من الموت) عند ذكر القتال ، ولاتباعهم ما أسخط الله ، وغير ذلك من الأفعال والتصرفات المذمومة ، وكل ذلك ينطوي على تنفير من الفعل وفاعله ؛ حيث يعيش القارئ للسورة في هذا الجو المفعم بالتنفير عن هذه الأفعال ، واستقذارها وبغض القائمين بها واستبعادهم والبراءة منهم .

* * *

ثالثا : جوانب التربية :

تضمنت السورة عددا من الجوانب أو الميادين أو المجالات التربوية الهامة ، وهي جوانب إنسانية ، ولكنها من ناحية ثانية هي ميادين أو مجالات للتربية التي يتلقاها الفرد الإنساني ، ومنها :

التربية الإيمانية :

وذلك من خلال التنويه بالإيمان ، وحال المؤمنين ، وقيمة ما يحملونه من الحق ، كما في الآية الثانية في السورة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد : ٢] ، وتقريب المؤمنين وتقوية انتمائهم إليه وتمسكهم به ، كما في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ١١] ، ومناداتهم بصفته في نفوسهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧]، وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣] ، وتثبيت الإيمان في قلوبهم من خلال صفات الله وهيمنته وقدرته وجبروته ، ومنته على عباده المؤمنين بالنصر وتثبيت الأقدام والهداية وإصلاح البال واحتساب الأعمال في الدنيا ووعده لهم بالنعيم والمغفرة والرحمة في الآخرة ، وآيات السورة كلها شأنها شأن القرآن كله هي هدى ورحمة ، وشفاء لما في الصدور ، وموعظة وبيان للحق ، وذكرى للمؤمنين ، وكل ذلك يقوي الإيمان ويزيده وينميه .

التربية الجهادية :

السورة اسمها سورة القتال ، وموضوعها الرئيس هو القتال ، وهي تأمر به وتحض عليه ، وتبين أحكامه وفقهه عند ملاقاة الأعداء في المعركة بين الإسلام وأعدائه ، حيث يكون الأمر الرباني بضرب الرقاب للأعداء حتى يتم الإثخان ، وعند ذلك يكون الأسر بشد الوثاق على المأسورين منهم ، ثم أحكام ذلك من التخيير بين المن والفداء ، والسورة تقوي النفوس على الجهاد ، وتحضهم على اتخاذ أسبابه التي في مقدور المؤمنين ، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يحقق النصر لدينه على الكفار ، ولكنه يريد من عباده المؤمنين أن يبذلوا قصارى جهدهم وأن يحشدوا ما في طاقتهم من أسباب النصر ، وهو جل وعلا يربيهم بذلك على الجهاد ومتطلباته وتبعاته ، يقول سبحانه :

﴿ .. وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد : ٤] .

وفي السورة كذلك التنويه بمكانة الشهادة عند الله وعظم ثوابها وعاقبتها عنده وكذلك الحث على الوفاء بشرط الحصول على النصر ، وهو نصر الله أو نصر دينه بصدق وإخلاص حتى يكون ذلك فاتحة ومقدمة للانتصار وتثبيت الأقدام .

ومن التربية الجهادية في السورة أيضا التحذير من دور المنافقين في التخذيل ، ودورهم في الاتصال بالأعداء والتعاون السري معهم ، ومع ذلك الأمر بالقوة ومجانبة الضعف ، والمؤمنون يملكون مقومات القوة ؛ فهم الأقوى بإيمانهم وبما يتخذونه من أسباب القوة والاستعداد مستعينين بالله وهو معهم جل وعلا بإعانته ورعايته ونصره ، وما إلى ذلك من معانٍ تقوي التربية الجهادية في النفوس .

التربية الوجدانية :

وهي التربية القلبية المتعلقة بالقلب وما يناط به من تمييز وبصيرة يميز بها الإنسان بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة ؛ ومع التمييز الميل نحو فعل الخير والانقباض عن فعل الشر ، ويعبر عنه في بعض المصادر الحديثة بالضمير ؛ وقد وردت الإشارة إليه في الحديث النبوي باسم " واعظ الله في قلب المسلم " ؛ قال عليه الصلاة والسلام : " ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرجوا ، وداع يدعو من جوف الصراط فإذا أراد يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، والصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على الصراط كتاب الله عز وجل ، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم " رواه الحاكم [1] ، وصححه الألباني[2] . ونجد في هذا الحديث أن القرآن هو الداعي على رأس الصراط ؛ هو البيان والهدى والنور يضيء للناس دروبهم ، ويدلهم على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك ، وأن واعظ الله في قلب كل مسلم يتحرك ؛ فيأمر وينهى ويرضى ويؤنب ويلوم

---

(١) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، بيروت : دار الكتاب العربي ، د. ت. ، ١ / ٣٧ .

(٢) محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ٢ / ٣٧٧ .

صاحبه بحسب ما يقدم عليه من طاعة أو معصية ، وهذا هو ديدن القلب الحي اليقظ ، والقرآن كما أنه يدعوا ويدل على الصراط المستقيم فإنه حياة للقلوب وشفاء للصدور وهدى ورحمة وموعظة للمؤمنين وإذا حيت القلوب بالقرآن تحرك فيها واعظ الله فأمر ونهى وحال دون الوقوع في محارم الله ، وحياة القلوب وقوة واعظ الله فيها تكون بالعبادة والذكر وقراءة القرآن وتدبر آيات الله في الأنفس والآفاق ، وتدبر آياته في كتابه العزيز ، وكل هذه الأمور التي تقوي واعظ الله في القلب تضمنتها السورة ووجهت إليها وحثت عليها ، فمن ذلك الأمر بالجهاد ، واتباع الحق ، ونصر دين الله ، وعمل الصالحات ، وطلب الاهتداء بحق ، والعلم بشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار ، وطاعة الله ورسوله ، والإيمان والتقوى ، والنفقة في سبيل الله كلها عبادات وأذكار تقوي الإيمان ، فتمد واعظ الله في القلب بما يزكيه وينميه ويجعل له أثرا في الحياة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٢٤] ، فتدبر القرآن زاد للقلب وحياة له ليتحرك فيه واعظ الله ، وهذا طرف من التربية الوجدانية (القلبية) في السورة .

التربية الأخلاقية :

من الجوانب التربوية في السورة التربية الأخلاقية المتعلقة بإكساب الأفراد أمهات الفضائل وتحصينهم من الوقوع في الرذائل صغيرها وكبيرها ، وقد حظيت التربية الأخلاقية بإشارات مهمة في السورة ، منها ما يتعلق بالتقوى ، ومنها ما يتعلق بالصبر ، ومنها ما يتعلق بالجود والكرم ، وهذه من أمهات الأخلاق التي يدور عليها كثير من التصرفات والأفعال ، فهي أخلاق محورية أساسية ، فالتقوى في " تعارف " أو مفهوم الشرع كما يقول الراغب الأصفهاني هي : " حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بترك المحظور ، ويتم ذلك بترك بعض المباحات " [1] ، والصبر كما يقول أيضا هو : " حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ، أو عما يقتضيان حبسها عنه " [2] ، والكرم كذلك ينبثق عنه أنواع من البذل ، بذل المال ، وبذل العلم ، وبذل النصح والمشورة ،

---

(١) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، بيروت : دار المعرفة ، د. ت . ص ٥٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

وبذل الإعانة والمساعدة ، وبذل الخير ، وما إلى ذلك .

وقد وردت الإشارة إلى التقوى في قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [محمد : ١٥] وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد : ١٧]، وقوله : ﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٦] ، وأثنى تعالى على الصابرين وقرنهم بالذكر مع المجاهدين في قوله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١] ، وختم تعالى السورة بالثناء على الإنفاق في سبيله وذم البخل وبيان سوء عاقبته على البخيل نفسه .

وفي مقابل ذلك شنع تعالى على الكفار سوء أخلاقهم في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد : ١٢] ، ويقول السعدي في معناها : " فلم يتصفوا بصفات المروءة ولا الصفات الإنسانية ، بل نزلوا عنها دركات ، وصاروا كالأنعام التي لا عقل لها ولا فضل ، بل جل همهم ومقصدهم التمتع بلذات الدنيا وشهواتها ، فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة دائرة حولها ، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير والسعادة " [1]. ومن ذلك يتبين الجانب الأخلاقي التي تتضمنه هذه الإشارات والمعاني في السورة ، وهي تربية أخلاقية لمن يتدبر هذه الآيات يربي بها نفسه ، ثم يربي بها غيره عن طريق القدوة وعن طريق الجهد المباشر في تطبيع من تحت يده بالأخلاق الكريمة .

التربية العقلية :

العقل نعمة كرَم الله بها بني آدم وميَزهم بها عن بقية المخلوقات ، وجعلها سبحانه مناط التكليف والمسؤولية ، ولذلك فإنه جل وعلا وجه إلى تفعيل العقل واستثمار الطاقة العقلية عن طريق توجيهها إلى مجالات معينة تعود على الإنسانية بالمنفعة والخير ، ومن ذلك قوله تعالى في مواضع من كتابه : (أفلا تعقلون) (أفلا تتفكرون) ، وفي سورة القتال نجد حثا على الاستفادة من العقل وحضا على استثماره في تصحيح العقيدة والتصورات والمفاهيم ، فقد قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ [محمد : ١٠] ،

---

(١) عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مرجع سابق ، ص ٧٨٦ .

يقول ابن جرير رحمه الله في تفسيره : " وإنما هذا توبيخ من الله لهم ؛ لأنهم قد كانوا يسافرون إلى الشام فيرون نقمة الله التي أحلها بأهل حجر ثمود ، ويرون في سفرهم إلى اليمن ما أحل الله بسبأ فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين به : أفلم يسر هؤلاء المشركون سفرا في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها الرَادة نصائحها ، ألم نهلكها فندمر عليها منازلها ونخربها ، فيتعظوا بذلك ، ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم في تكذيبهم إياه ، فينيبوا إلى طاعة الله في تصديقك " [1] . كما أنكر تعالى على الكافرين تعطيل عقولهم في مواضع من السورة ، فأنكر عليهم اتباعهم الباطل وتمتعهم بمتاع الدنيا " كأنهم أنعام ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ساهون عن العاقبة لاهون بما هم فيه " [2] ؛ فعقولهم مغيبة في هذه الحالة ؛ كما يقول ابن جرير الطبري : " والذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة ، ويأكلون فيها غير مفكرين في المعاد ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدية لهم إلى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسله ، فمثلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك وغير معرفة مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همة لها إلا في الاعتلاف دون غيره " [3] .

ثم قارن تعالى بينهم وبين من هم على بينة من أمرهم يعون ما يفعلون ويميزون بين الأمور ، فقال : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ [محمد : ١٤] والهمزة هنا للإنكار ؛ كما يقول الشوكاني : " والمعنى أنه لا يستوي من كان على يقين من ربه ولا يكون كمن زين له سوء عمله ، وهو عبادة الأوثان والإشراك بالله والعمل بمعاصي الله ، واتبعوا أهواءهم في عبادتها ، وانهمكوا في أنواع الضلالات بلا شبهة توجب الشك فضلا عن حجة نيرة .. " [4] ، ويقول ابن جرير الطبري في تفسيرها : " يقول تعالى ذكره : (أفمن كان) على برهان وحجة وبيان (من) أمر (ربه) والعلم

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٨هـ ، ٢٦ / ٤٦ .
(٢) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، بيروت : دار الفكر ، ١٤١٢هـ ، ٥ / ٤٧ .
(٣) محمد بن جرير الطبري ، مرجع سابق ، ٢٦ / ٤٧ .
(٤) محمد بن علي الشوكاني ، مرجع سابق ، ٥ / ٤٩ .

بوحدانيته ، فهو يعبده على بصيرة منه بأن له ربا يجازيه على طاعته إياه الجنة ، وعلى إساءته ومعصيته إياه النار (كمن زين له سوء عمله) يقول : كمن حسن له الشيطان قبيح عمله وسيئه فأراه جميلا ، فهو على العمل به مقيم ، (واتبعوا أهواءهم) يقول : واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله ، وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة "[1] .

كما أنكر تعالى على المنافقين تعطيل عقولهم وأذهانهم وبلادتهم حال سماعهم للرسول صلى الله عليه وسلم واتباع أهوائهم ، ثم سؤال الصحابة عما قال ، فهم لم يحاولوا أن يعقلوا هم ويفهموا ما قال ، وأنكر عليهم تعالى أيضا عدم تدبرهم للقرآن ، وعدم تهيئة أذهانهم لفهمه ، يقول الشوكاني : " قوله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن) للإنكار ، والمعنى : أفلا يتفهمونه فيعلمون بما اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة والحجج الظاهرة والبراهين القاطعة التي تكفي من له فهم وعقل وتزجره عن الكفر بالله والإشراك به والعمل بمعاصيه "[2] .

من خلال هذه التوجيهات والإشارات البليغة يتبين بعض ما في السورة مما يتعلق بالتربية العقلية .

* * *

(١) محمد بن جرير الطبري ، مرجع سابق ، ٢٦ / ٤٨ .

(٢) محمد بن علي الشوكاني ، مرجع سابق ، ٥ / ٥٥ .

نتائج البحث :

يتبين من خلال العرض السابق للسورة وما فيها من معاني ومضامين ودروس تربوية، ومن خلال تحليل ما أوردته كتب التفسير حول المعاني والمفاهيم والأقوال ذات العلاقة بالتربية والتعليم ؛ ولاسيما ما يتعلق منها بالمبادئ والأساليب والجوانب التربوية يمكن إجمال أهم النتائج المستخلصة من ذلك فيما يأتي :

١. تضمنت السورة عددا من المبادئ والأساليب والجوانب التربوية الهامة ، ووردت هذه المبادئ والأساليب والجوانب في سياقات متعددة في السورة كلها تشير إلى أهمية كل منها للتربية وأهميتها لتحقيق نقلة نوعية في حال الإنسان من واقعه الذي هو عليه إلى الحال الأمثل الذي يراد له في تربية القرآن أن يكون عليه .

٢. من المبادئ التربوية في السورة مبدأ وجوب التعلم ، ومبدأ الطاعة ، ومبدأ الربط بين العلم والعمل .

٣. من أساليب التربية وطرقها في السورة الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، والتوجيه إلى التعلق بالدار الآخرة (مع الأخذ بنصيب الفرد من الدنيا) أسلوب التربية على الوجل وأخذ الحيطة والحذر والاستعداد للمستقبل ، والتنويع في التحفيز ، وضرب الأمثال ، التوجيه إلى الفهم والإدراك والاعتبار والتفكر ، والثناء على الفعل الحسن وفاعله ، وذم الفعل السيء وفاعله .

٤. من جوانب التربية في السورة التربية الإيمانية ، والتربية الجهادية ، والتربية القلبية (الوجدانية) ، والتربية الأخلاقية ، والتربية العقلية .

توصيات البحث :

في ختام هذا البحث يوصي الباحث بما يلي :

١ – دراسة السورة دراسة متأنية لتحليل ما فيها من مضامين تربوية تتعلق بموضوعات تربوية أخرى واستدراك ما فات الباحث في ثنايا السورة ؛ فهو لا يدعي أبدا أنه استخرج منها كل ما له صلة بالتربية ؛ وإنما المعرفة تتراكم بالجهود المتتابعة للدارسين والباحثين ، والتزام الباحث بالحدود الموضوعية

لبحثه يوضح أن ما هو خارج هذه الحدود لا زال بحاجة إلى بحث ودراسة .

٢ – يوصي الباحث كذلك بتوجيه الجهود لدراسة وبحث مواضع وسور أخرى من القرآن الكريم ؛ فالقرآن كله ينضح بالحقائق المعرفية التربوية والمؤثرات الإيمانية والتوجيهات الإرشادية مما يستدعي تضافر الجهود وتعاون الباحثين لاستكمال بحث هذه الجوانب والموضوعات .

٣ – يوصي الباحث كذلك بعمل موسوعة تربوية قرآنية متكاملة تتناول كل المضامين والحقائق والدلالات التربوية في القرآن الكريم ، وهو عمل ضخم يحتاج إلى فريق من الباحثين المؤهلين ؛ حبذا لو تبنت إحدى الجهات العلمية أو التربوية الإسلامية العناية به وحشدت له جهود العلماء والباحثين خدمة لكتاب الله وتحقيقا لتوجيهاته في إصلاح البشرية وتربيتها على الاستقامة .

في نهاية هذا البحث نحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات ،ونسأله تعالى أن يوفق الجميع للعلم بكتابه والعمل به ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

١- أحمد ، محمد عبد القادر . **طرق التدريس العامة** ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٤١٢هـ .

٢- أحمد ، فيصل بن علي يحي . **منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه على ضوء سورة الحجرات** ، (لم يذكر مكان النشر ولا الناشر) ، ١٤٠٧هـ .

٣- الأصفهاني ، الحسين بن محمد الراغب . **المفردات في غريب القرآن** ، بيروت : دار المعرفة د. ت

٤- الألباني ، محمد ناصر الدين . **صحيح سنن الترمذي** ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٨هـ .

٥- الألباني ، محمد ناصر الدين . **صحيح سنن ابن ماجة** ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٧هـ .

٦- بكر ، عبد الجواد سيد . **فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف** ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤٠٣هـ

٧- جلو ، الحسين جرنو محمود . **أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم** ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤هـ .

٨- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي . **زاد المسير في علم التفسير** ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ .

٩- الدسوقي ، محمد . **منهج البحث في العلوم الإسلامية** ، طرابلس : دار الأوزاعي ، ١٤٠٤هـ

١٠- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر . **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ .

١١- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر . **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن** ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ١٤٢٠هـ .

١٢- الشافعي ، إبراهيم محمد . و الكثيري ، راشد حمد . وعلي ، سر الختم عثمان . **المنهج المدرسي من منظور جديد** ، الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ .

١٣- الشنقيطي ، محمد الأمين المختار الجكني . **أضواء البيان** ، الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٣هـ .

١٤- الشوكاني ، محمد بن علي . **فتح القدير** ، بيروت : دار الفكر ، ١٤١٢هـ .

١٥- الطبري ، محمد بن جرير . **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٨هـ .

١٦- أبو صالح ، محب الدين أحمد . **أساسيات في طرق التدريس العامة** ، الرياض : دار الهدى للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ .

١٧- عمر ، عمر أحمد . **منهج التربية في القرآن والسنة** ، دمشق : دار المعرفة ، ١٤١٦هـ .

١٨- ابن كثير ، إسماعيل بن عمر . **تفسير القرآن العظيم** ، الرياض : دار السلام ، ١٤٢١هـ .

١٩- محمود ، علي عبد الحميد . **التربية في القرآن الكريم** ، القاهرة : دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٤١٧هـ .

٢٠- النحلاوي ، عبد الرحمن . **أصول التربية الإسلامية وأساليبها** ، دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ.

٢١- النحلاوي ، عبد الرحمن . **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة** ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ .

٢٢- النحلاوي ، عبد الرحمن . **التربية بالآيات** ، بيروت : دار الفكر المعاصر ، ١٤٠٩هـ .

٢٣- النعمان ، مأمون صالح . **مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا (دراسة تحليلية)** ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤١٩هـ .

٢٤- النيسابوري ، أبو عبد الله الحاكم . **المستدرك** ، بيروت : دار الكتاب العربي ، د. ت. .

٢٥- يالجن ، مقداد . **جوانب التربية الإسلامية الأساسية** ، الرياض : المؤلف ، ١٤٠٦هـ .

* * *